أحسن القصص

سيرة الأنبياء (عليهم السلام)



قصة سيدنا هود (عليه السلام)

عاصفة الغضب

كمال السيد

تأمل في خارطة شبه الجزيرة العربية تجد منطقة صحراوية واسعة في الشرق انها منطقة الربع الخالي...

منطقة خالية من كل آثار الحياة فلا نبات ولا مياه...

ولكن هل كانت هذه المنطقة صحراء قبل آلاف السنين؟

كلاّ كانت في هذه الأرض الموحشة مناطق خصبة وخضراء، وقد وجد علماء الآثار أطلال مدينة مطمورة تحت الرمال.

في هذه المنطقة وفي عصور ما قبل التاريخ عاشت قبائل "عاد" القوية وهي قبائل من العرب البائدة..

لم يذكر عنها التاريخ شيئاً الاّ ما ورد في القرآن الكريم.

عاشت قبائل عاد في تلك المنطقة المعشبة الخضراء..

وكانت السماء تمطر في المواسم.

فتخصب الأرض وتمتلأ السواقي والغدران وتزداد الحقول بهجة.

وهكذا امتلأت أرضهم بالنخيل والعنب والحقول وتوسعت بساتينهم.



اهتم الناس آنذاك بالبناء فكانوا يتفنّنون في العمارة وبناء القصور والقلاع والحصون.

كانوا أقوياء مغرورين.. أبطرتهم النعمة.. لم يعودوا يستمعون لصوت العقل..

كانوا وثنيين يعبدون التماثيل.. ينحتونها بأنفسهم ثم يعبدونها.

وهم يبنون معابدهم فوق التلال ثم يضعون فيها تمثالاً ويقولون هذا إله الخصب، وهذا إله البحر، وذاك إله البر، وهناك إله الحرب.

لهذا كانوا يتجهون إلى تلك الأصنام في كل حاجة تعرض لهم.

كانت أرض الاحقاف خضراء مليئة بالمراعي فكثرت ماشيتهم وأصبحوا اكثر ترفاً وبذخاً وغروراً.

تصوّروا ان كل هذا الخير هومن بركات الآلهة..

لهذا انغمسوا في وثنيتهم اكثر.

ازداد ظلمهم للأبرياء، وازداد بطشهم بمن لا يسايرهم في عقائدهم وحياتهم.

الناس الطيبون كانوا يعيشون خائفين..

كانوا أقليّة ضعيفة وكانت أسباب القوّة في أيدي الأغنياء..

والأغنياء كانوا جميعاً من الأقوياء..

فهم طوال القامة عضلاتهم مفتولة، وقلوبهم قاسية كأنها منحوتة من الصخر.



في ذلك الزمن وفي تلك البقعة من دنيا الله الواسعة عاش سيّدنا "هُود".

كان انساناً صالحاً طيب القلب محبّاً الخير..

الله سبحانه اختاره نبياً وبعثه رسولاً إلى قومه.

أعلن سيدّنا "هُود" دعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ الأصنام والأوثان والآلهة لأنها مجرّد حجارة لا تضر ولا تنفع.

كان سيّدنا هود شجاعاً لم يخف من الوثنيين..

كانوا أقوياء في الجسم ولكن هوداً كان قويّاً في إرادته وروحه..

انه مع الله والله معه.. والله أقوى من كل شيء.

الناس الطيبون آمنوا برسالة هود كانوا قليلين جداً.

الأقوياء المترفون سخروا من هود ومن رسالته وقالوا انّه رجل سفيه مجنون، وراح أهل عاد يؤذون النبي ويهدّدونه.

استمر سيّدنا هود في دعوته وكان يعظ قومه دائماً يذكّرهم بنعمة الله وبركاته ولكن لا فائدة..



كانوا يتصوّرون ان الآلهة هي التي ترزقهم..

هي ترسل المطر، وتنبت العشب وتبارك في ماشيتهم فتتكاثر وتزداد وتنمو..

لهذا قالوا ان هوداً مجنوناً وأن الآلهة قد لعنته، كانوا هم أيضاً يخوفون هود من سوء العواقب اذا ما استمر في دعوته.

قالوا له:

ان الآلهة ستعاقبك.

سيّدنا هود كان يتحدّى جبابرة عاد ويتحدّى آلهتهم أيضاً.

ظلّ هود مستمراً في رسالته، وعجز الجبابرة من فعل شيء تجاه سيّدنا هود.

أصبح أهل "عاد" قسمين، قسم آمن بالله واليوم الآخر وهم افراد قلائل جداً..

وقسم كفروا برسالة هود وظلّوا على بغيهم وفسادهم وضلالهم.

لم يعد هناك أمل في اصلاحهم ظلّوا سادرين في ضلالهم.



جاء موسم المطر.. ولكن السماء لم تمطر..

كانت الغيوم تمرّ في سماء الاحقاف وترحل بعيداً..

أو كانت تتجمع ثم تتبدد.. كان أهل عاد يعيشون على المراعي والزراعة وما تهبه البساتين من الفاكهة.

مرّ ذلك العام دون مطر.

نقصت محاصيلهم.. وبعض الماشية نفقت بسبب الجوع وماتت بعض الأشجار..

أهل عاد اتجهوا إلى أوثانهم يعبدونها ويقدّمون لها القرابين.. ولكن دون جدوى.

حل الموسم الآخر.. وتجمعت الغيوم.. أهل عاد فرحوا واستبشروا كانت الغيوم سوداء.. قال بعضهم أنها مثقلة بالمطر الغزير ولكن تلك الغيوم سرعان ما تفرّقت.

ضاعفوا عدد القرابين.. ولكن الغيوم كانت تظهر وتختفي وكانت الرياح التي تهب تحمل لهم الرمال فقط..



الايمان يعني الخصب:

جاء سيّدنا هود ووعظ قومه. قال لهم انا احبكم.. أريد لكم الخير قال لهم: {.. يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ}[1].

لم يستمع أهل عاد إلى موعظة رسول الله اليهم، أعرضوا عنه وهدَّدوه وتوعَّدوه، وانصرفوا إلى ذبح القرابين وتقديمها إلى الآلهة..

ومضى موسم المطر، ولكن لم تنزل قطرة واحدة واجتاح الجفاف مناطقهم.

تحوّلت أرضهم الخضراء إلى صحراء.. نفقت ماشيتهم وذبلت اشجارهم..

وحلَّ العام الثالث.. كان عاماً عصيباً جداً أصبحت المياه نادرة جداً الا ما يكفي لسقي الماشية فقط اما الحقول فقد ظلّت دون ماء.

في كل يوم كانوا يخرجون إلى معابدهم يعبدون الاصنام ويتضرعون اليها وكان سيّدنا هود ينصح قومه يدعوهم إلى الايمان بالله عز وجل لأنه هو وحده القادر على كل شيء.. أما الأصنام فلا قيمة لها لأنها مجرّد حجارة..

إرم المدينة العجيبة:

كان أهل عاد قد بنوا في تلك الفترة أعظم مدينة في العالم هي مدينة إرم "التي لم يخلق مثلها في البلاد".

كانت مليئة بالقصور والحدائق والبساتين..

وكان "شدّاد" الرجل الجبّار الوثني هو الذي أمر ببنائها لتكون جنّة يعيش فيها..

كان يتصوّر أنه سيبقى خالداً وأنه لن يموت..

لقد كان قوياً جداً تصوّر أنه سيبقى حيّاً إلى الأبد.

عاصفة الدمار:

حل الموسم الثالث لهطول المطر.. ولكن لا شيء سوى الجفاف، وساد القحط..

وكانت الرياح تهبّ فتدفع أمواج الرمال باتجاه الوديان التي كانت ذات يوم خضراء.

ضربت المجاعة أرض الاحقاف.. وما زال سيّدنا هود يدعوهم إلى الايمان ونبذ الأصنام..

الله سبحانه هو القادر هو الذي يرسل المطر فيحيي الأرض بعد موتها..

الله عز وجل هو الذي يبعث الخصب في الوديان والسهول..

الأصنام والأوثان حجارة صمّاء لا تضرّ ولا تنفع..

ولكن قبائل عاد لم تؤمن برسالة هود.. الناس كانوا يطيعون الجبابرة.

امّا هود فلم يؤمن به أحد الاّ بعض الناس الطيبين..

في الموسم الثالث خرج سكان الاحقاف ينظرون إلى السماء.. كانوا ينتظرون الغيوم والمطر..

السماء كانت صافية زرقاء ولا أثر للغيوم..

الوثنيون فكروا بتقديم المزيد من القرابين.. فقد ينقذهم إله الخصب من القحط والجفاف.. ولكن لا شيء.

جاء سيّدنا هود ووعظهم للمرّة الأخيرة.. نصحهم بالتوبة والعودة إلى الله..

الله وحده الذي يرسل المطر ويبعث الخصب.



ولكن قوم عاد نهروا سيّدنا هوداً وقالوا له: اذهب ايها المجنون انت رجل كذّاب..

ليرسل ربّك علينا العذاب اذا كنت صادقاً.. اننا لن نترك آلهتنا..

الهتنا هي التي ترزقنا وترسل لنا المطر وتبعث الخصب في أرضنا وتبارك في ماشيتنا ان الآلهة لن تنسى ذلك.

كان سيّدنا هود حزيناً من أجل قومه كان يريد لهم أن يؤمنوا حتّى يعيشوا حياة كريمة هانئة..



مرّت ساعات.. ظهرت في الأُفق غيوم سوداء رهيبة..

كانت الغيوم تزحف شيئاً فشيئاً حتى غطّت سماء الأحقاف كلّها..

فرح أهل عاد بالغيوم.. قالوا:

لقد استجابت الآلهة أدعيتنا.. فأرسلت لنا غيوماً مثقلة بالمطر..

سوف تخصب الوديان وتعود الخضرة إلى البساتين.

قال سيّدنا هود وهو يرى نذر العذاب..

كلاّ بل هوما استعجلتم ريح فيها عذاب أليم تدمّر كل شيء، أوى سيّدنا هود إلى الجبل ولجأ المؤمنون.. وأصبح العذاب قاب قوسين أو ادنى..

كان الوقت يمرّ وكان الوثنيون يحدّقون في الغيوم السوداء المتراكمة كانوا ينتظرون المطر.. ولكن دون جدوى.

بدأ هبوب الرياح البادرة سوف تنقض العاصفة المدمّرة..

في السماء اشتعلت البروق وانقضّت الصواعق الرهيبة ودوّت الرعود.. كان صوت الرعد هائلاً مخيفاً انخلعت له قلوب الكافرين.

أصيب الوثنيون بالهلع وفرّوا إلى منازلهم كانوا ينظرون بياس إلى الغيوم.

لم يفكّروا بكلمات سيّدنا هود لم يفكّروا بمواعظه ونصائحه كانوا ينظرون إلى تلك التماثيل الحجرية فقط..

كانوا يعتقدون ان تلك الحجارة الصمّاء هي التي ترزقهم وتمنحهم الخير والبركة والنماء.



بدأت عاصفة الغضب السماوي.. كانت الرياح عنيفة وجافة وكانت قارسة البرد..

لم تكن رياحاً تحمل السحب ولا المطر كانت طوفاناً من البرد الشديد والرمال الكثيفة.

مرّت الساعات مخيفة والعاصفة لم تهدأ أبداً وكانت أمواج الرمال تزحف باتجاه الوادي.

كان قوم عاد مغرورين بقوّتهم.. كانوا يتصوّرون أنهم سيتغلبون على القحط والجفاف والعاصفة.

تصوّروا ان العاصفة ستهدأ في الليل أوفي صباح اليوم التالي.

بدأت الرياح المدمّرة هبوبها صباح الاربعاء وظلّت تعصف بعنف مدّة سبع ليال وثمانية أيام.

لم تهدأ ولم تتوقف إلاّ في صباح الأربعاء..

لم تهدأ الاّ بعد أن طمرت الوادي الخصيب بالرمال واندثرت مدينة إرم العجيبة..

تحطمت المنازل وتهاوت الأعمدة المرمرية الهائلة.

امّا أُولئك الرجال الذين كفروا برسالة هود (عليه السلام) فقد سقطوا فوق الرمال..

كانوا طوال القامة لهذا بَدَو مثل جذوع النخل اليابسة..



أمّا التماثيل فسقطت على وجوهها وتحطمت وتحولت تلك المعابد الوثنية إلى أنقاض..

لقد حلّت اللعنة عليهم.. كانوا طغاة جبارين ليست في قلوبهم ذرة من الرحمة..

كانت حياتهم كلها عبث في عبث.. حتى عندما كانوا يبنون قصورهم كانوا يفعلون ذلك لمجرّد العبث.

لم يكونوا يستفيدون منها أبداً، لهذا غضب الله عليهم بسبب كفرهم واضطهادهم للمؤمنين.

من أجل هذا أهلكهم وأنقذ سيّدنا هوداً والذين آمنوا معه حتى يعود الناس إلى فطرتهم ويبدؤون حياة إنسانية جديدة مليئة بالخير والخصب والنماء.



النهاية

عاصفة الغضب

المصدر: موقع رافد